يكون عمله متكاملا · وقد واجهتني هذه المشكلة ، مثل ما واجهت وتواجـــه غيري ، في الوقت الذي قررت فيـــه ، قبل سنوات عدة ، المباشرة بالعمـــل الذي نشر الجزء الاول منه · ولم يكن من الصعب حلها من خلال الرجوع الى قوائم البيبليوغرافيا الكثيرة والمتعـــددة والواسعة للغاية ــ فليس هناك نقـــص ابدا في المراجع التي تبحث في تاريـــخ الصهيونية من كل وجوهـــه · بل ان العكس هو الصحيح ، فهناك فيض من تلك الكتب · اما قوائم البيبليوغرافيـــا التي رجعنا اليها ، العديدة والمفصلة ، فانها تحتوي فعلا على مراجع بلغـــات مختلفة ، اكثريتها الساحقة باللغـــة الانكليزية بالذات وبعدها تأتي ، مـــن حيث الكمية ، المراجع العبرية · وهناك بالطبع مراجع اخرى مكتوبة بلغـــات اخرى ايضا ، الا ان عددها قليل ·ولدى التدقيق في نوعية هذه المراجع وجودتها، اكتشفنا ــ لحسن الحظ ــ ان كل ما هـــو منها على جانب ما من الاهمية مترجـم الى الانكليزيـــة او الى العبريـــة (والصهيونيون ، على كل حال ، يهتمون كثيرا بتاريخهم ويترجمون كل ما يكتب عنهم تقريبا) · وحيث اننا نستطيـــع استعمال هاتين اللغتين ، اي الانكليزية والعبرية ، بصورة لا بأس بها ، بحكـم دراستنا لهما ابتداء من المدرســـة الابتدائية ، مرورا بالثانوية وانتهـــاء بالجامعة ، فتحت امامنا الطريـــق على مصراعيها لمتابعة تاريخ الصهيونية، في كل النواحي التي تهمنا ، باعتبارنـــا نستطيع قراءة كل المصادر المهمة ، بـــل حتى الاولية للغاية ، المتعلقة بالموضوع·

ولا نكتم سمير ايوب سرا اننا ، في بداية عملنا ، نظرنا بعين الريبة الـــى المصادر العبرية ، وفضلنا الانكليزيـــة عليها · وقد انهمكنا لوقت غير قصير في متابعة تلك المصادر الانكليزية وسبـــر غورها ، حتى استطعنا التمييز بين الغث والسمين · الا اننا عندما وصلنا الـــى هذه المرحلة اكتشفنا وقائع غريبـــة و « طريفة » للغاية ، اذ اتضح لنا ان عددا لا بأس به من المراجع الانكليزية ، جيدة التحرير والطباعة والتجليد ، التي تبدو ذات قيمة اكاديمية رفيعة ، هي في نهاية الامر عبارة عن مواد مستقـــاة اساسا من العبرية ، « مؤدلجة » ومراقبة ومصاغة بطريقة معينة ، هدفها الحقيقي تجميل الصهيونية ، وتقديمها للقـــراء الاجانب عامة بشكل جذاب · ومع هذا « الاكتشاف » تطرق الشك الى فؤادنا ، فقررنا العـــودة اولا الى الوثائـــق الاساسية ، بنصوصهـــا الاصلية او المترجمة · وسرعان ما باانت صحة هذا الاتجاه ، واتضحت لنا حقائق كثيـــرة كانت مخفية · ونضرب مثلا على ذلك : لقد احترنا كثيرا في امر حركـــة هـــواة صهيون وطبيعتها واهدافها ومركزهـــا وتأثيرها في تاريخ الصهيونية ، حتـــى رجعنا الى مجلدين بالعبرية يضمان كل وثائقها الاساسية ، فاذا بالصورة تتغير عما هي عليه في المصـــادر الاخرى ، وتصبح اكثر وضوحا ــ فتظهر الحركة على حقيقتها ، دون ماكياج ·

وما قلناه عن حركة هواة صهيـــون ينطبق ايضا على موضوعات البحـــث الاخرى في الكتاب · والمصادر التـــي اوردناها هي مصادر اساسية واوليـــة تكفي قطعا لمعالجة الموضوع ، ولا ضيـــر فيها انها مكتوبة بالعبرية او الانكليزية فقط · ويقينا ان من يجد تحت تصرفـــه مثل تلك المصـــادر التي اوردناها لا يحتاج ابدا الى مصادر اخرى ، ان كانت كتابات جانسن او هلبروك ، او ادعاءات سمير ايوب ، او غيـــره · ولا شك ان كاتب المراجعة لو كان مطلعا ، ولو لماما، على تاريخ الصهيونية لنظر بصورة اكثر احتراما الى المصادر التي اوردناهـــا ،